

العراق: الدرب الشائك لاستعادة الدور الإقليمي



سليمانى وصحبه، والرّد عبر عملية عين الأسد الشكّية واستمرار رشقات الصواريخ على السفارة الأميركية في بغداد ومحيطها. واللافت أنّ الهجوم الصاروخي هذا الأسبوع أنهى هدنة غير معلنة تحت إشراف بعثة الأمم المتحدة، ما يشير إلى عدم قدرة الحكومة العراقية على ضبط هذا الصراع.

وعلى الأرجح ليس من المصادفات أن يأتي تحرك الميليشيات الموالية لإيران عشية افتتاح معبر عرعر المخلّق بين العراق والمملكة العربية السعودية منذ ثلاثين عاماً. وكان وراء هذه الرسالة المسلحة يكمن الاعتراض على الانفتاح العربي وتوجيه تحذير إلى الإدارة الأميركية القادمة.

في المقابل من الغريب أنه لأول مرة منذ 16 عاماً لم يكن العراق حاضراً في سياق الحملة الانتخابية الأميركية الأخيرة، ولم تكن هناك أية إشارة في حملة الرئيس المنتخب إلى طبيعة السياسة التي ستعتمدها إدارته في الملف العراقي. على الرغم من أن جو بايدن كان نائب الرئيس أوباما حين انسحاب الأميركي الكامل من العراق في نهاية العام 2011، وكان شاهداً أيضاً على قرار البيت الأبيض في واشنطن إعادة القوات لجبهة تنظيم داعش في صيف 2014، من دون وضع تصور نهائي لمستقبل الوجود الأميركي في العراق. منذ حرب العام 2003 التي جرى توصيفها ضمن "الحروب التي لا

د. خنار أبودياب
أستاذ العلوم السياسية، المركز
الدولي للجيوبوليتيك-باريس

أنت إعادة افتتاح معبر عرعر الحدودي بين السعودية والعراق، بعد خطوات التكامل الاقتصادي بين مصر والعراق والأردن، لتدل على المسعى العراقي للعودة إلى الحاضنة العربية واستعادة الدور العربي الضائع لبغداد. لكن نجاح هذا المسار سيتوقف على التجاذب الأميركي - الإيراني إزاء هذا البلد.

منذ وصول الدكتور مصطفى الكاظمي إلى سدة الحكم تبعاً لتطورات الاشتباك المباشر بالوكالة بين الطرفين الأميركي والإيراني على الساحة العراقية والذي أسفر عن توازن سلبي أتاح بدء الانفتاح العراقي على محيطه العربي من دون أن يعنى ذلك الخروج من دائرة النفوذ الإيراني والتخلص من التأثير الأميركي. وفي نفس الإطار يرتبط الأمر بمصير البقعة الوطنية العراقية وانتفاضتها في السنتين الأخيرتين، لأنه من دون إعادة بناء الدولة العراقية بشكل صحيح مع تدعيم أسس دولة القانون والسيادة والشفافية والمساءلة والعدالة، لن تبدأ إعادة تأهيل دور العراق الخارجي ولن تستكمل من دون إفلاته من القبضة الإيرانية والنفوذ الأميركي المباشر.

على العالم العربي لا أكثر. ستبقى حكومة مصطفى الكاظمي "التوازنة" ما دام هناك أفق للمساومة الأميركية - الإيرانية. ولن تتغير موازين القوى مع الانتخابات المبكرة القادمة لأن شباب الاحتجاجات الداعين إلى تغيير النظام بالوسائل السلمية لم ينجحوا في تنظيم صفوفهم، ولأن القانون الانتخابي ونمط المحاصصة سيضمنان عدم تغيير الخريطة السياسية بشكل ملموس. ومن هنا يبدو درب استعادة الدور الإقليمي للعراق شائكاً ما دام الاستنهاض الوطني رهينة تمزق الداخل وصراعات الآخرين.

العراقي الدكتور مصطفى الكاظمي على أهمية تعزيز العلاقات بين البلدين وتوسيع آفاق التعاون في المجالات المختلفة (السياسية والأمنية والتجارية والاستثمارية والسياحية) والتعاون في مجالات الطاقة وتبادل الخبرات. لكن مجرد التداول بشأن استثمارات سعودية كبيرة في الزراعة وصناعة الألبان، سرعان ما أزعج الانفتاح العراقي - السعودي، أطرافاً موالية لطهران، إذ أصدر زعماء فصائل مسلحة وقادة كتل بيانات وتصريحات صحافية ضد الاستثمارات السعودية ومشاريع عربية أخرى شملت حتى الاتفاقية بين بغداد والقاهرة.

ببرهن كل ذلك أن إيران تحاول التحكم بالشأن العراقي لجهة التسليم بدور أميركي محدد من دون المس بالتحول الإيراني، وفي نفس السياق يمكن القول بانفتاح عراقي خجول

بلورة اتفاقية تكامل اقتصادي بين العراق ومصر والأردن، وهذه الدول الثلاث تمتلك ثروة بشرية تقدر بـ150 مليون مواطن وثروة نفطية هائلة واحتياطيات ضخمة جداً من النفط الخام والغاز، وتمتلك مصر والأردن مواقع استراتيجية هامة جداً، مثل خليج العقبة وقناة السويس، يمكن أن تشكل منافق للعراق.

ومن دون شك فإن تصدير النفط العراقي إلى مصر لتكريره وبيعه مقابل تصدير الكهرباء إلى العراق (ضمن الربط الكهربائي بين مصر والأردن) يكرس إنجازاً لهذه الأطراف. ودوماً في نفس الاتجاه تندرج الانفراجة السعودية - العراقية وقبل فتح معبر عرعر في 18 نوفمبر الحالي، أكد اجتماع التنسيق العراقي - السعودي عبر تقنية الفيديو يوم 10 نوفمبر بين ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان ورئيس الوزراء

طويلة، ولذا لاحظنا أن استراتيجية الضغط الإقصي الترامبية لم تمس الشراكة الأميركية - الإيرانية في العراق حيث تم استثناء بغداد من العقوبات ضد إيران، وتم ترك العراق بمثابة رنة لتنفس الاقتصاد الإيراني المهتك (تصدير الغاز والكهرباء إلى العراق ومبادلات تجارية وصلت إلى ما يقارب 9 مليارات دولار سنوياً). ومن الواضح أن "التوازن السلمي" بين الطرفين أو اللعبة المزدوجة لواشنطن ستستمر إبان المفاوضات المنتظرة بين إدارة بايدن والنظام الإيراني.

في سياق هذا التجاذب والتقاطع تحاول حكومة الكاظمي التحرك بمرونة ودفعة لعدم تضارب المصالح الأميركية والمصالح الإيرانية مع انفتاح محدود على لاعبين خارجيين مثل فرنسا وألمانيا وبريطانيا، وذلك بالتزامن مع جهد كبير لتطوير العلاقات العربية بدأ مع

الأميركي، تقاسمت واشنطن وطهران النفوذ في العراق. ولم تعد الدوائر الأميركية تنتظر إلى بلاد الرافدين بشكل مستقل وخاص، فهي طورا "دولة فاشلة" (نتاج آثار إدارة بريمر والفساد المنهجي والاستفادّة الإيرانية) أو "ملاذ الجهاديين" أو "موئل الإرهاب" وأخيراً تتم مقاربتها من منظور الملف الإيراني. وطالما هناك أفق لحوار مع إيران سيكون العراق على جدول الأعمال ولذا ستكون إدارة بايدن ملزمة على المدى القصير بالاحتفاظ بوجود عسكري محدود في العراق، بمعزل عن المواقف الراضية في العلن من قبل غالبية القوى العراقية التابعة، خاصة وأن هذه المواقف ستعتمد على تطورات العلاقة الأميركية - الإيرانية، وعلى تصميم الإدارة الأميركية على عدم التضحية بما استثمرت فيه واشنطن منذ فترة

حكومة الكاظمي تحاول التحرك بمرونة ودفعة لعدم تضارب المصالح الأميركية والمصالح الإيرانية مع انفتاح محدود على لاعبين خارجيين مثل فرنسا وألمانيا وبريطانيا وذلك بالتزامن مع جهد كبير لتطوير العلاقات العربية

خلال عهد دونالد ترامب، كان العراق ساحة التجاذب الرئيسية بين واشنطن وطهران، وكان العام 2020 حافلاً من خلال قصف حلفاء إيران واغتيال قاسم

دائماً يوجد حل آخر



الشخصيات الليبية التي جاءت إلى تونس لم تأت لكي تمثل نفسها كما كانت تأمل ويليامز وإنما لكي تمثل آخرين إلى درجة تبرر التساؤل عما إذا كان وجود هؤلاء ضرورياً من الأساس

واحدة، وتضع على طاولة كل واحد منهم رشاش كلاشنيكوف محشو مخزّنه بالرصاص، مع مخزن إضافي. وتقول لهم، قبل أن تخرج: حلّوها في ما بيحكم. العالم سوف يأخذ بالحل الذي يتقدم به أول شخص يخرج من القاعة.

يمكنها أن تقول للجميع "إذا كنتم تملكون الشجاعة على خوض الحوار بالمدافع الرشاشة والصواريخ والمدركات وسط مئات الآلاف من المدنيين الأبرياء، فلا بد أنكم تملكون الشجاعة نفسها لخوض الحوار في قاعة مغلقة".

التوقع، هو ألا يبقى أحد حياً، ولكن هذا غير صحيح.

تونس. لقد كانت تلك النهاية هي الشيء "الطبيعي" الوحيد. مع ذلك، يوجد حل آخر دائماً. وفي الواقع، فإن هناك حلين مثاليين يمكن لويليامز أن تأخذ بهما معاً.

الأول، أن تدفع الأمم المتحدة إلى طلب وقف تحويل إيرادات النفط إلى أطراف النزاع، ليفهموا أنهم لن يتلقوا قرشاً واحداً، ما لم يتوصلوا إلى حل. والحل المطلوب هو ليس أي حل كان، وإنما الحل الصحيح، وهو أن تكون هناك حكومة انتقالية، من التكنوقراط المستقلين، الذين لا يمثلون إلا أنفسهم، لكي تتولى إدارة السلطة الانتقالية، وألا يكون لأي طرف سياسي أي دور في اختيار شخصياتها، أو في التحكم بما تتخذ من قرارات.

والثاني، هو أن تجمع الفعاليات السياسية البارزة كلها في قاعة المرزب.

وليس من العجيب، إن كان استئناف تصدير النفط هو الشرط الأول لـ"الحوار السياسي"، وحالما توفرت الآلية للحصول على المال، بدأت التنازلات تتصاعد من جديد. لا تحتاج ويليامز إلى أن تشعر بالاستياء مما انتهى إليه منتدى

السؤال الجوهرى هو: ما الذي دفع أطراف النزاع إلى قبول الحوار في الأصل، من قبل أن يُرسَلوا من يتحدث بانفسهم عنهم إلى تونس؟

القول إنهم أدركوا فشل الخيار العسكري، غير صحيح. لم يدركوا ذلك. وهم مستعدون لمواصلة الحرب 200 سنة أخرى. وطالما أن هناك مرتزقة وأطراف دعم خارجية، فإن استمرار الحرب إلى يوم يبعثون، يتناسب تماماً مع ما استجد لديهم من الطابع.

شج المال، بعد انقطاع إيرادات النفط، هو الشيء الوحيد الذي أدركوه. ولقد كانت "ضربة معلم" من الجيش الوطني الليبي عندما قرر وقف تصدير النفط فجأة، أصبح الحل السياسي ممكناً، لاسيما وأن قطر، بوصفها

الممول الرئيسي لهم وللمرتزقة، لم تعد قادرة على توفير المزيد من المال. هؤلاء المرتزقة يمكن أن يدفعوها إلى الإفلاس، من دون أن يكفوا عن طلب المزيد.

وليس من العجيب، إن كان استئناف تصدير النفط هو الشرط الأول لـ"الحوار السياسي"، وحالما توفرت الآلية للحصول على المال، بدأت التنازلات تتصاعد من جديد. لا تحتاج ويليامز إلى أن تشعر بالاستياء مما انتهى إليه منتدى

علي الصراف
كاتب عراقي

فكرة أن تحصل ستيفاني ويليامز على جائزة نوبل للسلام بسبب مساعيها المضنية لإيجاد حل سياسي للآزمة الليبية، يحسن ألا تخطر لها على بال، بسبب الطبيعة الليبية الاستثنائية في خوض الحوارات.

الليبيون، بوجه عام، لا يطبقون الإجاب، حتى ولو كانوا ملائكة. وليس من السهل على طبيعتهم أن يجدوا أنفسهم متقابين إلى امرأة، حتى ولو كانت الأم تيريزا. فهم حتى ولو كانوا قادرين على التوصل إلى اتفاق فإنهم يفضلون أن يبلغوه بانفسهم، من دون أن يكون هناك أي رقيب بينهم. وهم يميلون إلى إظهار التنازلات أكثر في ما لو كان هناك غريب يراقبهم أو يحثهم على التوصل إلى توافق.

لم يكن من العجيب، لمن يعرف تلك الطبيعة، أن يتوقع انهيار منتدى الحوار الليبي في تونس.

ويليامز وجدت نفسها في محنة حقيقية، عندما بدأ التنازع حول المناصب. ففي حين أن المبدأ من اختيار الشخصيات الخمس والسبعين هو أنهم لا يطمعون بمناصب في الحكومة الانتقالية، إلا أنهم أظهروا طمعا من نوع مختلف، وذلك بأن أصبحوا مرآة لأطماع غيرهم. وهو ما يضمن لهم حصّة غير منتظرة. وبينما كان يفترض أن يكونوا أظهروا من أن يسعوا إلى مكسب، فقد أظهروا العكس.

تلك الشخصيات جاءت إلى تونس ليس لكي تمثل نفسها، كما كانت تأمل ويليامز، وإنما لكي تمثل آخرين، إلى درجة تبرر التساؤل عما إذا كان وجود هؤلاء ضرورياً من الأساس. فيما أنهم يمثلون غيرهم، فربما كان من الأقرب لتحقيق الحل هو جمع أولئك الآخرين ليكون التنازع والتوافق وجهاً لوجه.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن

1977 أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدرّاء التحرير

مختار الدبابي

كرم نعمة

منى المحروقي

مدير النشر

علي قاسم

المدير الفني

سعيدة اليعقوبي

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant

177 - 179 Hammersmith Road

London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999

Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department

Tel: +44 20 8742 9262

ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk

editor@alarab.co.uk

لن يموت أحد، بكل تأكيد. سوف يتوصلون إلى اتفاق أكثر صدقا من أي اتفاق آخر قد يتم التوصل إليه من خلال الحوار الأنيق.

والحل الصحيح، هو أن تتشكل حكومة مستقلة، بكل معنى الكلمة. وأن تتوفر لها القدرة على أن تتغلب على أي قوة مسلحة أخرى، قد تعترض الطريق، سواء بقوة مراقبة دولية، أو بتشكيلات أمنية جديدة لعناصر غير مرتبطة بأطراف النزاع المسلح.

الأطراف المتنازعة يجب أن تفهم أنها أطراف سياسية فحسب، وأنها سوف تكون منزوعة السلاح في النهاية، بعد أن يتم حل كل الميليشيات ودمجها في مؤسسة الجيش، على نحو يجعلها بعيدة عن مناطق ولائها الجهوية أو القبلية. وبعد عام أو عامين من إعادة الحياة إلى طبيعتها، تتم الدعوة إلى انتخابات تحت إشراف الأمم المتحدة، وخاضعة لرقابة مشتركة من الجميع. لينتهي الأمر ببرلمان وحكومة منتخبين.

ولكن حدث نزاع سياسي جديد يهدد بانتهيار أممي، يدعى المتنازعون إلى قاعة الكلاشنيكوفات ليخوضوا الحوار "الأخوي" في ما بينهم.

الحوار المسلح، الذي يُخاض في قاعة مغلقة، سيكون حواراً من أجل التوصل إلى تسوية، دونها الموت. كما أنه سيكون جادا بما يكفي لكي يعرف كل متحاور أنه يمثل نفسه لا طرفاً آخر ينتظر في الظل لكي يجني عائد المنفعة.

ثم إن مذبحه واحدة، خير من سلسلة مذابح لا تنتهي. لقد أمضى الليبيون نحو 10 سنوات وهم يتحاورون حوارهم الآخر، حتى دمروا البلاد وأفسسوها. وبعد التجربة المرّة، ربما تترك ويليامز أن البحث عن حلول أخرى هو الطريق الوحيد لجائزة نوبل.